علاقة العلم بالفلسفة الإسلامية
ونصيب الفكر العلمي من التدريس الفلسفي العام
دراسة نقدية *

د. أحمد فؤاد باشا **

مقدمة :

ان العلاقة الوثيقة بين العلم والفلسفة الاسلامية بديهية لا يمكن انكارها ولا تحتاج الى برهان ، فما كان للعلم أن يقيم حضارة بمعزل عن الفكر الذى يحتضنه ويغذيه ، وما كان للفكر أن يزدهر ويرقى بعيدا عن العلم الذى يدعمه ويكثر من ثمرته . لكن البديهيات هى التى كثيرا ما تتعرض من جانب الجاحدين لمحاولات الطمس والتشوية ، وتتعرض من جانب المعايشين لها والمتفقين عليها لحالة من انقطاع الوعى بها والنسيان لمدلولاتها وغاياتها . ومهما يكن من أمر الخلاف حول مجالات الفلسفة الاسلامية وطبيعة المشكلات التى تشغلها والأهداف التى تسعى لتحقيقها ، فان علاقة العلم بالفكر الاسلامى عموما يجب - فى رأينا - أن تحظى بالمزيد من اهتمام الباحثين لتأكيد أصالة الفكر العلمى الاسلامى من جهة ، ولتجديد هذا الفكر حتى يكون قادرا على استيعاب حركة العصر من جهة أخرى ، خصوصا بعد أن تدخل العلم فى بناء الحياة المعاصرة بحيث لم يعد هناك أى نشاط انسانى الا ويعتمد على العلوم وتقنياتها فى تخطيطه وتطويره .

والدراسة الحالية تتناول هذه القضية الهامة فى جزئين رئيسيين هما :

أولا : علاقة العلم بالفلسفة ، وهو جزء نظرى يهدف الى فهم أعمق لطبيعة هذه العلاقة ، وتحليل أوضح للتحديات العلمية المعاصرة التى يواجهها الفكر الاسلامى فى ضوء ماتنبئ به نتائج الأبحاث الجارية من ثورة علمية مرتقبة يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات العلمية والمذاهب الفلسفية السائدة ، ويطرأ بسببها تحول كبير وعى الانسان وتصوره لنفسه وللعالم .

ثانيا : نصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام ، وهو جزء تطبيقى يقدم تصورا

---

* من ندوات المعهد العالمى للفكر الاسلامى . القاهرة ، ١٩٨٩ .

** أستاذ الفيزياء بكلية العلوم بجامعة القاهرة .

اسلاميا لطبيعة الموقف النظرى للمنهج المدرسى فى اطار الدور المطلوب من التعليم العام لتأصيل الفكر الاسلامى وتجديده ، ثم يعرض فى ضوء هذا الموقف لتحليل تجربة التدريس الفلسفى فى المرحلة الثانوية بمدارس جمهورية مصر العربية .

أولا : علاقة العلم بالفلسفة الاسلامية

(أ) طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة والدين

يحدثنا القرآن الكريم بأن العلم قرين الانسان منذ خلقه الله تعالى ونفخ فيه من روحه ، وأن الله سبحانه وتعالى قد امتن على العباد بنعمة الخلق والايجاد ، وامتن عليهم بتكريم آدم عليه السلام وتعظيم شأنه ، وشرفه على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شئ دونهم ، ولا شك أن الاحسان الى الأصل احسان الى الفرع ، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء . قال تعالى فى كتابه الكريم : " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لك انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون" (سورة البقرة :٣٠-٣٣).

وقد جاء فى التفسير أن الله تعالى علم آدم الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها . والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه مالم تعلمه الملائكة ، وخصه بالمعرفة التامة دونهم (١).

والانسان يولد فى هذه الأرض لا علم له بشئ من هذا الكون على الاطلاق ، فيدعوه الاسلام الى العلم وبحثه على اكتساب المعرفة والاستفادة من تطبيقاتها وتقنياتها ، وسائله في ذلك نعمة الحس ونعمة العقل ، وقبلهما توفيق الله وهدايته . قال تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (النحل : ٧٨).

لهذا لم يكن الأنسان فى أى مرحلة من مراحل تاريخه بعيدا عما يمكن اعتباره ممارسة لعملية التفكير واستخدامه فى التغلب على مصاعب البيئة التى يعيش فيها . وبمرور الزمن استطاع الأنسان بالفطرة والخبرة أن يصل تدريجيا الى قدر من المعرفة العقلية أو العلمية أفاد منها فى التمييز بين الموجودات ومحاولة السيطرة على مايحيط

به . فهو عندما اهتدى الى بعض خواص فى ايقاد النار من تطاير الشرر الذى يحدثه احتكاك الأحجار بقوة نجده قد استخدم هذه النار للدفء ولطهو الطعام ولانارة الكهوف التى سكنها . وعندما رأى الحجارة الكبيرة تحدث أثرا فى الأجسام والأشياء عند ارتطامها بها أو سقوطها عليه نجده قد تعامل معها بجرها ونقلها ليتخذ منها أدوات يستخدمها فى القطع والشق والثقب وصناعة الأسلحة البدائية التى يدافع بها عن نفسه . ولاريب أن هذا النوع من التفكير فى تلك المرحلة البدائية كان ساذجا وعفويا ومشوبا بالأوهام والخرافات ، لكنه كان ضرويا لساعدة الانسان على تفسير الظواهر التى يراها ويتعامل معها بعد أن لاحظ تجانس العالم الذى يعيش فيه واسترعى انتباهه تواتر الظواهر الطبيعية أمام عينيه . فكان مثلا يرى أنه بحاجة الى تفسير الحركة والحياة فى الأشياء ، وهداه خياله البدائى الى أن يعزى الحركة الى أرواح أو آلهة تجعل الشئ متحركا ، قياسا على ما كان يراه فى الأحلام من أشياء تتحرك حركات خارجة عن المألوف له فى يقظته . ولذلك كان طبيعيا أن تتعدد الآلهة بالنسبة للانسان البدائى بتعدد ظواهر الطبيعة ، اذ لم يكن قادرا على أن يفرق بين الحركة والحياة ، فكل ماهو متحرك أمام ناظريه ، كالشمس والكواكب والرياح والمياه والصخور المتساقطة من أعلى الجبل ، يعتبر فى رأيه حيا ، ومادام حيا فهو ذو نفس ، والنفس لاتتلاشى أثناء النوم ولا بعد وفاة الجسد بدليل رؤية الحالم للموتى ، فهى اذن من طبيعة علوية أو الهية .

ومن هنا نشأ الدين الوثنى فى المجتمعات البدائية ليؤدى مهمة عقلية تتفق ومستوى تفكير الأنسان البدائى للاجابة على كل مايخفى عليه فهمه من مظاهر الكون ومايخرج على التجانس الذى اعتقده فيه ، ونشأت بذلك التفسيرات الخرافية التى تعتمد على الخيال وحده فى اعطاء الأنسان صورة معرفية عن الكون. لكن الانسان مالبث أن تكونت لديه بعض المعارف والتصورات عن ظواهر الطبيعة المرتبطة بحياته وحاجياته واستطاع أن يرقى الى حد المعرفة الحقيقية ، ففطن الى عجز الأوثان عن تقديم حلول مقنعة يقبلها عقله ، وكشف وراء الفوضى غير المفهومة نظاما وانسجاما فى الكون ، وأدى ذلك الى رفض القول بنزوات الآلهة وتعددها والى الاتجاه نحو الوحدانية . وهنا وجد الانسان نفسه على أعتاب التاريخ ، وانبثقت الفلسفة فى تفكيره للتعبير عن شعور العقل بعد ارتقائه بالقدرة على تقديم اجابات وحلول مقنعة لمشاكل الوجود والفكر. وبعد أن كثرت المعلومات وتشعبت الموضوعات التى خاض فيها الفلاسفة ، استقل كل موضوع بمجاله متخذا صورة العلم ، مثلما استقلت الفلسفة عن الدين الوثنى ، واتخذ كل فرع من فرع المعرفة البشرية اتجاها مميزا له موضوعه ومنهجه وغايته . وعلى هذا

النحو نشأت الفلسفة لتنظر الى الكلى المعقول فيما وراء الجزئيات المحسوسه ، ونشأت العلوم مع الفلسفة لتلبية حاجة الانسان الى الارتباط بالواقع ، باعتباره موضوع النشاط الانسانى اليومى ومصادر كل ضروريات الحياة البشرية . وتبلورت من هذا المعارف وتطبيقاتها مقومات الحضارات التى شرع الانسان فى تشييدها على مراحل متعاقبة تتناسب ومستوى الاستيعاب المعرفى والتقنى للعلوم فى المرحلة التى تبلغها من تطورها (٢).

ولاينبغى أن يفهم مما ذكرناه أن الدين نشأ فى بادئ الأمر وثنيا ، وقام على المبالغة فى تقديس الأشياء والأشخاص ، ثم ارتقى شيئا فشيئا حتى وصل الى التصور الصحيح الذى يقوم على مبدأ التوحيد. ولكننا فى حقيقة الأمر ننتصر لرأى الكثيرين من الباحثين المتخصصين فى دراسة الأديان ، بأن الدين الصحيح الذى أوحى الله به للمصطفين من الأنبياء والرسل لهداية الناس الى الصراط المستقيم هو دين واحد فى أصله وجوهره المبنى على عقيدة التوحيد. قال تعالى :" شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه " (سورة الشورى : ١٣) ، وقال جل شأنه : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (سورة الأنبياء : ٢٥) . كما أن الدين الصحيح أمر فطرى فى الانسان ، أودعه الله فيه منذ أن خلقه :" فطرة الله التى فطر الناس عليها " (سورة الروم : ٣٠) ، ومعرفة الانسان بخالقه معرفة فطرية ترجع الى الميثاق أو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم وهم فى مرحلة " الذر " ، مصداقا لقوله تعالى :" واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا " (الاعراف : ١٧٢) . وعلى ذلك فان الرسالات الالهية التى أوحى الله بها للأنبياء والمرسلين قد توالت لتصحيح الانحرافات التى وقعت من وقت لآخر فى تاريخ البشرية ، ولتطهير الدين من مظاهر الوثنية والانحراف عن الدين الصحيح التى كانت تطرأ عندما توشك رسالة أن تسلم الراية لغيرها .(٣)

وعندما جاءت الأديان السماوية الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والاسلام ، واجهت الفكر البشرى بقضية لازمة لا جدال فيها ، وهى أن ماجاء به الوحى فى الكتب المنزلة هو القول الفصل فى كل شئون الكون والحياة ، كل حسب حاجة البشر اليه عند تنزيله . ولكن هذا لايمنع العقل من أن يفكر ويبحث لأنه سيتوصل فى النهاية الى أن الحق هو ماقاله الله . ولذلك نشأت مشكلة التوفيق بين العقل والنقل ، أو بين التفكير والوحى ، أو بين الفلسفة والدين ، أو بين العلم والدين . وكان الدين الخاتم هو الاسلام الحنيف

الذى جاء ليقود حركة الانسانية كلها ويحقق الانسجام لجميع أنواع البلبلة التى وقعت فيها الديانات المحرفة والفلسفات الخابطة فى الظلام ٠(٤)

طبقا للخصائص المميزة لكل من التفكير العلمى والتفكير الفلسفى ، فأن النظرية الفلسفية تختلف عن النظرية العلمية التى تؤكدها التجربة العملية ٠

فقديما كانت النظريات الفلسفية عن أصل الكون متعددة ومتباينة ، وكانت احداها تقضى بأن العناصر الأساسية الموجودة فى الكون أربعة هى : الماء والهواء والتراب والنار ٠ والعلم لم يستطع حتى الآن أن يتوصل الى نظرية محددة عن أصل الكون ، لكنه أكد بما لا يحتمل الشك وجود مايزيد على مائة عنصر يمكن رؤيتها بالعين أو تحضيرها فى المعمل ، وأثبت أن الماء ليس عنصرا ولكنه يتكون من عنصرين هما الأكسجين والنتروجين ، وأن الهواء والتراب يتكونان من عدة عناصر ، وأن النار ظاهرة حرارية ٠ وهكذا نرى أن النظرية الفلسفية القائمة على فروض ذاتية تنتقل الى مجال العلم بمجرد التأكد من حقيقتها وفق منهج علمى سليم ٠ ولهذا فان الفلسفة قد تخلت عن كثير من موضوعاتها بعد أن تدخل العلم وتوصل بشأنها الى نظريات وحقائق ٠

ويمكن أن يقال نفس الشئ عن نظامى بطليموس وكوبرنيكوس للمجموعة الشمسية ، ونظريتى أرسطووابن الهيثم في الابصار وغيرها ٠

(ب) العلاقة بين العلم والفلسفة الاسلامية :

اذا كانت الفلسفة قد نشأت فى تفكير الانسان بادئ ذى بدء لتكون احدى صور حبه الغامر للحكمة وكشف العلل البعيدة لظواهر الواقع ، فانها ظلت دائما ، وحتى بعد استقلال باقى فروع المعرفة عنها ، تحتل مكانة خاصة فى التعبير عن درجة ارتقاء العقل البشرى من خلال تعبيرها عن نمو العلاقة بالتأثير المتبادل بين الذات الانسانية والموجودات الكونية ٠ واذا سلمنا بصحة هذه المعنى ، فانه يمكن القول بأن الفلسفة الاسلامية كانت تمثل قمة النشاط العقلى فى عصر الحضارة الاسلامية الزاهرة التى شهد المنصفون من المؤرخين والمستشرقين بأثرها العظيم فى دفع مسيرة الحضارة الانسانية الى عصر النهضة الأوربية الحديثة ، التى مهدت بدورها لقيام حضارة التكنولوجيا المعاصرة ٠ وفى هذا أقوى دليل على ارتباط العلم بالفلسفة الاسلامية ارتباطا وثيقا متبادلا ٠ فما كان للعلم أن يقيم حضارة بمعزل عن الفكر الذى يحتضنه ويغذيه ، وماكان للفكر أن يزدهر ويرقى بعيدا عن العلم الذى يدعمه ويكثر من ثماره ٠ والواقع أن علماء الحضارة الاسلامية وفلاسفتها كانوا يعتبرون العلوم العقلية جزءا من

الفلسفة ، وقد عالجوا مسائل فى الطبيعة كما عالجوا مسائل فى الميتافيزيقا · وتزخر الدراسات الفلسفية بقضايا علمية كثيرة ، كما تتعلق العلوم بمبادئ ونظريات عديدة · ويعتبر أبو بكر الرازى مثالا لمجموعة العلماء الفلاسفة الذين يمارسون الطب فى المقام الأول بالتشخيص والعلاج ، معتمدين على المشاهدات والملاحظات ، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ هذه الغاية · وكان الرازى فى طبه وفلسفته واثقا من سلامة منهجه ، لا يتردد فى نقد من سبقوه لأن الفلسفة فى رأيه تأبى التسليم للأستاذ بغير حجة تقنع أو برهان يدفع (٥) · كذلك كان الكندى عالما فيلسوفا ، يرى – كما رأى أفلاطون من قبل – أن تعلم الرياضيات ضرورى لتعلم الفلسفة · وكان الحسن بن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبى مولعا بالفلسفة ، فدرس كتب أرسطو وشرحها وعلق عليها ، وشارك الفارابي وابن ميمون فى الحملة على بعض أراء الرازى الفلسفية (٦) · وكان ابن سينا من الفلاسفة العلماء الذين درسوا العلم الطبيعى على أنه جزءمن المعرفة لا غنى عنه ، واجتهدوا فى طلب العلم التجريبى بأسلوب منطقى · ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب " القانون " فى الطب الذى يشار اليه على أنه نموذج رائد فى فن التأليف العلمى من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب ، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة · فالكتاب يبدأ بالتشريح ويثنى بعلم وظائف الأعضاء ويتبع ذلك بعلم طبائع الأمراض أو الباثولوجيا ، وأخيرا ينتهى بعلم العلاج · ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون هذا الكتاب ومنهجه فى مقدمة توضح محاولته تطبيق الاعتبارات الفلسفية على النظريات الطبية ، وقال : " رأيت أن أتكلم أولا فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمى الطب ، أعنى القسم النظرى والقسم العملى ، ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم جزئياتها ، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو : أبتدئ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته ، ثم اذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى··· فاذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولا فى أكثرها أيضا على الحكم فى الكلى فى حده وأسبابه ودلائله · ثم خلصت الى الأحكام الجزئية ، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت الى المعالجات الجزئية " واشتهر كتاب القانون هذا فى أوربا شهرة عظيمة لدرجة أنه قيل عنه بأنه كان الانجيل الطبى لأطول فترة من الزمن ، فقد طبعت ترجمته كاملة الى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر ، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر (٧) ·

من ناحية أخرى ، يمكن أن نلاحظ أن الحركات العلمية فى الاسلام سبقت الدراسات الفلسفية ، فقد عنى خالد بن يزيد الأموى فى عهد مبكر بالكمياء والطب والنجوم ، ودعا بعض المتخصصين لترجمة رسائل فيها عن اليونانية أو القبطية - والمترجمون أنفسهم رواد فى البحث العلمى ، فحنين بن اسحق طبيبي وثابت بن قرة رياضى . وظهرت بعض الجماعات التى مزجت بين العلم والفلسفة ، مثل اخوان الصفا الذين ظهروا فى النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى ، وكانت رسائلهم - وجملتها ٥١ رسالة - نموذجا من الثقافة العامة السائدة ، وتنقسم الى أربعة أقسام : رياضيات وطبيعيات وعقليات والهيات ، عدا الرسالة الحادية والخمسين التى تسمى " الجامعة " وهى توضح هدفهم وتجمل ماورد فى الرسائل الأخرى (٨) .

ويمكن اعتبار هذه الجماعات أساسا وأصلا لنشأة الجمعيات العلمية التى عرفتها أوربا بعد ذلك ، وأصبح لها عظيم الأثر فى تقدم العلوم ونشر الأبحاث العلمية (٩)

وليس أدل على عمق العلاقة بين العلم والفلسفة الاسلامية من وجود كل الخصائص المميزة لما عرف حديثا باسم " فلسفة العلوم " ومناهج البحث العلمى ، ولكن من منظور اسلامى يؤكد منهجية الفكر العلمى الاسلامى وشموليته وعالميته ، ويضفى عليه من سمات الاسلام مايجعله صالحا لكل زمان ومكان (١٠) . ذلك لأن التصورات والمذاهب والفلسفات الوضعية التى يضعها البشر لأنفسهم - فى معزل عن هدى الله - تحتاج دائما الى التطور فى أصولها ، والتحور فى قواعدها ، والانقلاب أحيانا عليها كلها حين تضيق عن البشرية فى حجمها المتطور وفى حاجاتها المتطورة .. أما التصور الاسلامى - بربانيته - فهو يخالف فى أصل تكوينه وفى خصائصه تلك الفلسفات الوضعية ، لأن الذى وضعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان ، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور ، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات ، ومن ثم يضع للكينونة البشرية كلها ، في جميع أزمانها وأطوارها .. أصلا ثابتا تتطور هى فى حدوده وترتقى ، وتنمو وتتقدم دون أن تحتك بجدران هذا الاطار (١١).

وتجدر الاشارة هنا الى حقيقة هامة يغفلها كثير من علماء المناهج وفلاسفة العلم مؤداها أن المنهج العلمى السليم اسلامى المصدر والبنية والغاية ، وأن اسلاميته حقيقة منطقية وضرورة واقعية (١٢) .

ومن ثم فانه لايصح أن ينسب هذا المنهج الاسلامى فى اكتشافه الى عالم بعينه كما هو الحال بالنسبة لأرسطو وبيكون وستيوارت مل وغيرهم ، بل يجب التركيز على مقدرة علماء الحضارة الاسلامية على استيعابه وتطبيقه كل فى مجال اهتمامه مثل جابر

ابن حيان فى الكيمياء والحسن عبد الهيثم فى البصريات وأبى الريحان البيرونى فى الجيولوجيا وغيرهم . وفى هذه الحقيقة الهامة يكمن السبب فى نجاح هذا المنهج الاسلامى ومواكبته لحركة التقدم العلمى التى حثت عليها آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحررتها من القيود والأوهام المعوقة للكشف والابداع قبل أن يقول بها بيكون وهل بعدة قرون . فقد دعت تعاليم الاسلام الى محاربة التنجيم والتنبوء العشوائى والتعصب للعرف والعرق وحذرت من الاطمئنان الى كل ماهو شائع أو موروث من آراء ونظريات (١٣).

والآن ، ربما ينشأ تساؤل عن السبب الكامن وراء كل هذه المبررات للتدليل على وجود علاقة قوية بين العلم والفلسفة الاسلامية ، رغم أن هذه العلاقة فى نظر الكثيرين تعتبر بديهة منطقية لاتحتاج الى برهان ولايمكن انكارها . لكن البديهيات هى التى كثيرا ماتتعرض من جانب الغير لمحاولات الطمس والتشويه ، وتتعرض من جانب أصحابها لحالة من انقطاع الوعى بها والنسيان لغاياتها الأصلية . وليس أدل على ذلك من محاولات التشكيك فى وجود " فلسفة " اصلا ، سواء من قبل بعض المفكرين الاسلاميين أنفسهم أو من قبل بعض المستشرقين وعلماء التاريخ الغربيين (١٤) .

وأيا ماكان الأمر فى شأن اختلاف الدراسين حول نشأة الفلسفة الاسلامية ومجالاتها وطبيعة المشكلات التى تشغلها والأهداف التى تسعى لتحقيقها ، فان علاقة العلم بالفكر الاسلامى عموما يجب - فى رأينا - أن تأتى فى مقدمة الموضوعات التى تحتاج الى المزيد من اهتمام الباحثين لتأكيد أصالة الفكر الاسلامى من جهة ، ولتجديد هذا الفكر حتى يكون قادرا على استيعاب حركة العصر من جهة أخرى ، خصوصا بعد أن تدخل العلم فى بناء الحياة المعاصرة بحيث لم يعد هناك أى نشاط انسانى الا ويعتمد على العلوم وتقنياتها فى تخطيطه وتطويره والاسراع بايقاع حركته .

(جـ) الفلسفة الاسلامية والعلم المعاصر

لاشك فى أن العلم بتطبيقاته وتقنياته يلعب دورا أساسيا فى حياة الأفراد والمجتمعات ، ويسهم اسهاما مباشرا فى رسم تصورات الانسان عن الكون والعالم الذى يعيش فيه ، بل أنه أصبح سمة أساسية من سمات الثقافة المعاصرة . ومن يستقرئ تاريخ العلم والحضارة يمكنه ملاحظة أثر التطور العلمى والتقنى على مناهج التفكير وطبيعة التحول فى مختلف ضروب النشاط الانسانى اذا ما قارن بين حدود عالم الانسان منذ كان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر إلي أن وصل الى تفجير الطاقة من الذرة

والنواة . وهل التقنية فى حقيقتها الا ذلك الجزء التطبيقى من العلم الذى يعمق ويوسع أدوات ووسائل التحصيل المعرفى ، ومن ثم فانها بهذا المعنى تصب مباشرة فى نفس الانسان ووعيه وتجربته ، وتفرض ظلها على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات (١٥) . ان الأبحاث والدراسات المستقبلية تنبئ عن ثورة علمية مرتقبة يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات العلمية والمذاهب الفلسفية السائدة ، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعى الانسان وتصوره لنفسه وللعالم اللذين كلما أوغل فيهما علما ومعرفة ازداد أمامه عمقا واتساعا .

ولقد بلغت الصورة الراهنة للواقع العلمى والتقنى درجة من التعقيد يستحيل معها على باحث واحد تحليلها فى دراسة واحدة . ذلك لأنها فى أحد جوانبها مثلا تمتد من أصغر الجسيمات الأولية فى عالم الذرة ونواتها الى أكبر المجرات الكونية فى عالم الفضاء المتناهى . ويكاد يمتزج البحث فى هذه المجالات بميادين أخرى على نفس المستوى من الخطورة والأهمية تشمل تقنيات الليزر والحاسب الآلى والذكاء الاصطناعى والهندسة الوراثية والاتصالات والطاقة وسباق التسلح فى الميادين البيولوجية والكيميائية والنووية وغيرها . وتدلنا الأبحاث الجارية حاليا فى مختلف فروع العلم على أننا نعيش مرحلة جديدة من التفكير العلمى والتقنى المرتبط بمفاهيم ميتافيزيقية أحيانا مثل التحكم فى عمر الأجسام المتحركة عن طريق سرعاتها ، والحديث عن الأبعاد الخفية للزمان والمكان ، وفكرة الخلق من العدم وحقيقة أصل الكون وتمدده وغيرها (١٦) . ويكفى أن نشير الى ماشهدته أبحاث الفضاء الكونى خلال العقدين الأخيرين من تطور كبير أدى بأصحاب النزعة العلمية المتطرفة – على الصعيد الفكرى – أن يشرعوا فى الترغيب لما يشبه الاعتقاد بأن الفضاء الخارجى هو الموطن الطبيعى للبشر (١٧).

واذا كان سكان الكرة الأرضية ينقسمون الآن الى شمال قوى متقدم وجنوب ضعيف متخلف ، فان الادراك الواعى لطبيعة التطورات التى تحدث فى كل ميادين العلم المعاصر من شأنه أن يساعد على تقييم موضوعى لتلك الفجوة الواسعة بين سكان الكوكب الواحد . كما أن التوصيف الأمين لهذا الواقع العلمى والتقنى يعتبر–فى رأينا – مقدمة ضرورية للتفكير فى الخروج من مستنقع التخلف والاسهام فى اعداد عقليات علمية قادرة على المشاركة فى ميادين الابتكار والابداع . وبطبيعة الحال سوف تختلف طرائق التناول باختلاف الوجهات الفلسفية المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر على تعددها وتباينها ، حيث يطمح كل فريق الى أن يجعل من تصوره أساسا لايمان اجتماعى جديد يكون بمثابة دين انسانى يهدى الى الحقيقة شاملة كاملة . وهنا تبرز

من جديد حاجة البشرية الماسة الى المنهج الاسلامى الذى ينقذها من متاهة الحيرة بين نظريات الحقيقة ومشكلات المعرفة كما تراها الفلسفات الوضعية المتصارعة . فالحقيقة التى ينبغى معرفتها ليست هى مايضعه الفلاسفة اتفاقا أو اختلافا ، ولكنها الحقيقة البناءة المرتبطة بالعلم وبالواقع ، وهى أيضا الحقيقة الهادفة الى اليقين المرتبط بالصدق وبالعقيدة (١٨).

ويكون التحدى الحقيقى الذى يواجهه الفكر الاسلامى فى هذا العصر هو قدرته على تقديم اجابات شافية لكل ما تسفر عنه تطورات العلوم وتقنياتها . وذلك من خلال صياغة جديدة لفلسفتنا الاسلامية تأخذ فى اعتبارها لغة العلم وتحدياته ، وتسهم فى بناء الحضارة المعاصرة بنصيب يتناسب مع مجد الأمة الاسلامية ومكانتها المرموقة فى تاريخ العلم والحضارة . عندئذ فقط يبطل زعم المذاهب العنصرية التى يرى أصحابها أن المسلمين يعجزون عن انتاج فلسفة خاصة ، وأن الفلسفة نتاج خاص يتطلب صفات عقلية مغروسة جنسيا أو عرقيا ، ولا يتمتع بها غير الآريين أصحاب الحضارة الغربية.

ثانيا : نصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام

(أ) دور التعليم العام فى تأصيل الفكر الاسلامى وتجديده

يدلنا استقراء الآثار الحضارية على أن الانسان انما خرج الى نور التاريخ بعد أن غدا قادرا على التذكير وأصبح مدركا لأهمية العلم ومواصلة التحصيل المعرفى فى صنع التقدم وفهم المزيد من أسرار الكون والحياة ، ومن ثم كانت بداية مشواره الطويل نحو تشييد الحضارات المتعاقبة التى جاءت ثمرة لتطور التفكير وابداعات العقل فى مختلف مجالات النشاط الانسانى . واذا كانت المعرفة فى حد ذاتها تمثل لدى الانسان حاجة عقلية ملحة تدفعه دفعا الى التماس الحقيقة فى كل مظهر من مظاهر الوجود ، فانها فى نفس الوقت تستمد قيمتها من حصيلة مردودها للمجتمع البشرى . وتتوقف هذه الحصيلة بطبيعة الحال على درجة استيعاب الانسان لعلوم عصره ، وحسن استخدامه لها وفق مقومات ثقافته ومنهج تفكيره ، وفى اطار القيم والمعايير والضوابط التى يرتضيها المجتمع أساسا لتوجيه السلوك ورسم خطى التقدم والرقى.

من هنا أدركت المجتمعات المتقدمة ، أو التى تسعى بوعى واصرار نحو التقدم والمدنية ، جوهر العلاقة الوثيقة بين تنمية الانسان حضاريا وبين انتمائه فكريا وعقائديا . وأيقنت هذه المجتمعات أن الدعامة الأساسية فى تحقيق نهضتها ومواصلة تقدمها يجب

أن تقوم على تأصيل ثقافتها وتعزيز قيمها بما يجعل سلوك الفرد فيها متوافقا مع الاطار الفكرى الذى يحكم حركتها ويحدد أهدافها . وعادة ما يقع العبء الأكبر فى هذا الصدد على عاتق المؤسسات التربوية والتعليمية التى تضطلع بتدريس مناهج محددة فى مراحل التعليم العام يكون لها أكبر الأثر فى تكوين ثقافة المتعلمين وتزويدهم بأساسيات المعرفة وأنماط الفهم التى تجعلهم قادرين على بناء ماتبقى من حياتهم (١٩) .

هذا هو ما تأخذ به دول كثيرة فى أوربا الشرقية وأوربا الغربية على حد سواء ، وفى اليابان والصين وكوريا واسرائيل وغيرها ، بصرف النظر عن مدى نضج وصواب المذاهب الفلسفية أو الاتجاهات الفكرية المطروحة فى هذا المجتمع أو ذلك .

وتخضع العملية التعليمية ، حتى فى أكثر الدول تقدما ، للفحص والمراجعة بصورة مستمرة بغرض الاستزادة من مواطن القوة والتخلص من مواطن الضعف والوقوف على المستوى الحقيقى لكفاية الأداء والقدرة على بلوغ الأهداف مع الحفاظ على الجمع بين تحديث الثقافة الذاتية وتأصيلها فى نفوس النشء . ويكفى أن نسوق مثلا على ذلك ماجاء فى ديباجة التقرير النهائى للجنة تقييم موسسات التعليم النظامى فى الولايات المتحدة الأمريكية من أنه : " لو قامت (قوة معادية) بفرض أداء تعليمى قليل الجودة على الشعب الأمريكى لاعتبر ذلك مدعاة للحرب ، ولكن ذلك يحدث الآن من خلالنا نحن الذين سمحنا به . لقد بددنا هذرا المكاسب التى حصلنا عليها فى رفع مستوى التحصيل التعليمى لطلابنا بعد التحدى الذى واجهناه باطلاق القمر الصناعى (سبوتنيك) * ان هذا التدنى فى قبول تلك المستويات من التعليم عمل بلا تفكير وعملية نزع لسلاح التعليم " (٢٠) . وعندما يقترح هتشنجر ، أحد أعلام التربية الأميريكيين تصورا لاصلاح التعليم يقضى باعتبار المدرسة الثانوية المخطط لها بعناية فائقة فى أوربا مثالا يجب أن يحتذى فى أمريكا ، فانه يواجه باعتراضات شديدة على أساس أن هذا التصور لايلبى حاجات طلاب التعليم العام فى أمريكا من الأقليات التى تنتمى الى أصول ثقافية مختلفة ، ولذا فهو لايخدم مواقع العمل فى الثقافة الأميريكية المعاصرة التى تتسم بالتقدم العلمى والتقنى ، فضلا عن أنه يعكس ظلال الثقافة الغربية بوجه عام ويحرم الأميريكيين من التعرف على ثقافات الأمم التى تؤدى فيها أمريكا دورا ما ، قلّ أو كبر (٢١) .

واذا ما انتقلنا الآن الى استعراض سريع لواقع التعليم العام فى الأمة العربية والاسلامية ، فان النشرات الاحصائية توضح لنا أن جهدا ملحوظا يبذل فى تعميم التعليم وتوسيع رقعة انتشاره ، لكن الدراسات التحليلية والتقويمية تؤكد لنا – مع الواقع الملموس – أن هذا التطور الكمى لايواكبه تطور نوعى يفى باحتياجات الأمة ويقيلها من

عثرتها ، وأن الفجوة واسعة جدا بين الهدف والتطبيق (٢٢) .

وتعزى الدراسات العالمية المقارنة هذا العجز الذى يصيب نظام التعليم العام فى دول العالم الثالث عموما الى أن كثيرا من الدول النامية قد غدت معرضا عالميا كبيرا لأشتات من النماذج والفلسفات التعليمية الوافدة من كل أنحاء العالم الصناعى ، وأنها تحاول تطبيقها كما هى ، أو مرتدية شعارات التجديد والتطوير ، فى بيئة تختلف عن بيئاتها الأصلية (٢٣) .

يتضح مما سبق أن فلسفة التعليم العام التى تأخذ بها مجتمعات العالم المتقدم ، وتتلخص فى اعتباره أهم أداة لتأصيل الهوية الثقافية وتحديثها ، تكاد تكون غائبة منهجا وتطبيقا فى أغلب مجتمعات العالم الاسلامى ، حتى وان كانت هدفا ينص عليه فى الاستراتيجيات وفى توصيات الندوات والمؤتمرات .

أما غياب المنهج العلمى السليم فى فلسفة التعليم العام فيمكن أن نستدل عليه مما يغمر ساحة الفكر العربى والاسلامى من الجدل والنقاش حول جدوى المفاضلة أو التوفيق بين ثنائيات الألفاظ والصيغ التى تطرح من حين لآخر ، مثل الأصالة والمعاصرة والتجديد والتقليد والابداع والاتباع والمعقول واللامعقول والتحديث والتغريب والاسلامية والعلمانية وغيرها . اذ كيف يمكن الاتفاق على منهج محدد الخطوات والغايات فى وسط ثقافى باهت الهوية لا يزال فى حاجة الى اسم ونسب . ان الحوار بين المفكرين لايزال مستمرا فى سبيل اقرار أبسط مبادئ التفكير العلمى الذى من شأنه أن يصنع التقدم ، فى حين أن التقدم نفسه عند الآخرين يركب الآن صاروخا ومكوك فضاء ويسافر نحو الشمس والقمر والكواكب البعيدة !! . وأما عن غياب التطبيق السليم لأعداف التعليم العام فيكفى أن يشهد عليه مانراه من أن يكون تدريس مادة " التربية الاسلامية " أمرا ثانويا أو هامشا ، وأن يأتى تقويمها – على أحسن الفروض – فى مستوى واحد مع التربية الموسيقية والتربية الرياضية والتربية الفنية وغيرها ، فينظر اليها الطلاب على أنها من قبيل تحصيل الحاصل .

واذا ماأردنا اذن نستفيد من تجارب المجتمعات المتقدمة فى اعتبار التعليم العام أداة لتأكيد الهوية الثقافية وتجديدها ، يكون علينا أن نعول على ثقافتنا الاسلامية وليس على ثقافة الغير ، وننطلق من التصورات والمعتقدات والقيم التى يؤمن بها أبناء أمتنا الاسلامية لتكون زادهم الحقيق فى العمل والكفاح من أجل حياة أفضل . ويقينى أن هذا هو ما يجب أن يمثل حجر الزاوية فى فكر الصحوة الاسلامية المعاصرة التى تؤمن بدور العلم فى صنع التقدم وتدعو الى الأخذ به بنية ومنهجا ، على أن يبدأ الاصلاح باعادة

نظر شاملة وفورية فى جميع المناهج الدراسية لتنقيتها من أى مفاهيم غير اسلامية واعادة صياغتها بعد تحديد أهدافها ومحتواها وأساليب تدريسها وتعلمها وعملية تقويمها فى ضوء التصور الاسلامى المستند الى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين . ان ثقافتنا الذاتية وفلسفتنا الاسلامية قد احتضنتا أطول حضارة عرفها التاريخ الانسانى ، ولا تزالا قادرتين على ابتعاث حضارة جديدة اذا ما أدركنا الحاجة الماسة الى احياء تراثنا الاسلامى وتنقيته وتوسيع دائرته وترشيد العقول المفكرة به فى اطار الالمام الواعى بدقائق الواقع المعاش وباتجاهات الفكر العالمى وفلسفاته التقليدية والمعاصرة .

والموضوع على هذا النحو متصل فى جانبه التربوى بمعانى التربية الاسلامية وغاياتها فى كل أوجه نشاطها . فالتعليم فى أية أمة من الأمم – بحكم بنائه وتوجيهه – يمثل الوجه الأهم من أوجه التربية والجزء الأعظم من قوتها الدافعة ، والوسيلة الأمثل لضمان بلوغ غاياتها . ويتفق المفكرون الاسلاميون وعلماء التربية الاسلامية (٢٤) على أن غاية التربية الاسلامية العليا هى بلوغ الكمال الانسانى لأن الاسلام نفسه يمثل بلوغ الكمال الدينى ، مصداقا لقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " (سورة المائدة : ٣) ويأتى فى مقدمة خصائص الكمال الانسانى الذى تنشده التربية الاسلامية اعداد الانسان الصالح العابد لله حق عبادته والجدير بحمل الأمانة والبحث عن الحقيقة واعمار الحياة فى الأرض.

ولايتسع المجال هنا لعرض كل مايتعلق بغايات التربية الاسلامية فى تنشئة الشخصية الاسلامية المتكاملة التى تفهم معنى عبادة الله بأنها أوسع وأشمل من مجرد اقامة الشعائر ، وتنطلق فى تفكيرها وأعمالها من مسلمة التوحيد الاسلامى الذى يعمق فى الانسان معنى الربانية كأساس لكل خصائص التصور الاسلامى فى تحقيق المنهج الالهى على الأرض ، ولكن يجب ايضاح أن التربية الاسلامية والتعليم هما من مهمة النبوة التى كلف بأدائها سيد المرسلين ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : " يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة " (سورة آل عمران : ١٦٤) ، وقول رسوله الأمين : " ان الله بعثنى معلما ميسرا " (٢٥) . على أن التحصيل المعرفى وتجديده وتطوره يتم تحقيقه على أكمل وجه اذا ماكان فى كنف الايمان الصادق بالرب الخالق ، امتثالا للأمر الالهى فى قوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذى خلق " (العلق : ١) ، اذ لايمكن أن تبدأ آخر الرسالات السماوية لبنى آدم على هذه الأرض بهذه الأية الكريمة الا اذا كانت تمثل بالفعل الأساس السليم لبناء المعرفة الانسانية ، تماما مثلما تمثل الخلية الحية وحدة بناء الكائن الحى . بل ان معنى الأية الكريمة قد تتسع دلالته اللفظية وتمتد

لتشمل ما يأتيه الانسان فى الجانب الايجابى ، وكل مايدعمه فى الجانب السلبى ، مجردا فى الأسباب والغايات لله الخالق سبحانه وتعالى (٢٦) . وعندما نقول أن تأكيد المنهج الاسلامى هو الأساس فى تكوين العقلية الاسلامية القادرة على الابداع والتقدم ، فان هذا لايعنى عدم مقدرة غير المؤمنين على تحصيل العلم ، فالله سبحانه وتعالى جعل البحث فى الكون وعلومه متاحا لكل البشر حتى يواصلوا اعمار الأرض ، لكن الذين يفتقدون منطق التوحيد الاسلامى لايستطيعون مواصلة الترقى فى السلم المعرفى الى غايته القصوى بادراك الحقيقة المطلقة وجوهر العلاقة بين الله والانسان والكون ، ومن ثم فهم لايستثمرون كل ثمار المعرفة التى حصلوها ، وكثيرا ما يسيئون استخدامها فى غير موضعها . ولنا فى أسلافنا الذين تربوا على الاسلام أسوة حسنة لأنهم أدركوا أن الاهتمام بالعلم قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست مجرد الحصول على شئ من القوة الغاشمة أو التسلط الظالم فى هذه الدنيا (٢٧).

واذا ماقبلنا ذلك التوضيح لواقع التعليم العام فى العالم العربى والاسلامى فاننا لن نجد صعوبة فى الوقوف على السبب الحقيقي لتخلف الأمة الاسلامية وتدهور مستوى التعليم فى مدارسها وجامعاتها ،على كثرتها ووفرة امكاناتها . فلن يكون لهذا التعليم دور مؤثر فى ابتعاث النهضة الحضارية المنشودة الا اذا تحددت أهدافه فى "تأصيل الثقافة الاسلامية وتجديدها فى ضوء المعانى الربانية لغايات التربية الاسلامية "، والا اذا استحدث صيغة جديدة للتطوير والاصلاح تستند فى سياستها الى المنهج الاسلامى القويم وتؤمن بدور العلم والتقنية فى ربط المجتمع الاسلامى بواقع الحياة المعاصرة. وهذا يتطلب فى المقام الأول اسهام العلماء والمفكرين الاسلاميين فى مختلف التخصصات المعرفية للوصول الى تصور واضح ومتكامل لأسلمة نظام التعليم العام وصياغة نظرية ومنهجية اسلامية عملية للتربية الاسلامية فى الأساليب والوسائل المطلوبة لبناء المدرسة العملية الاسلامية المتميزة ، على أن يكون البدء بأسلمة المناهج الدراسية طريقا الى وحدة المعرفة الاسلامية فى التعليم وبناء الشخصية الاسلامية المعاصرة (٢٨).عندئذ فقط ينكسر حاجز الجمود فيما يمكن أن يسمى بنظام التعليم السلمى، وتزول حالة التشاؤم واللاجدوى من ثقافة مستسلمة ، وتنتقل الأمة الى وضع جديد يحدوها الأمل والتفاؤل بنهضة حضارية جدية تحقق ارادة الله فى ترقية الحياة على الأرض ، وترسى قواعد المنهج الالهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام.

(ب) الفكر العلمى وتجربة التدريس الفلسفى فى مصر

١- اسلامية الموقف النظرى للمنهج المدرسى فى الفترة ١٩٥٣ - ١٩٨٨

ننتقل الآن الى محاولة استكشاف مدى التطابق والاتساق بين الفكر الاسلامى وتطبيقه فى سياسة التعليم العام ، وذلك من خلال جزئية محددة تتعلق بنصيب العلم والفكر العلمى فى تجربة التدريس الفلسفى فى المرحلة الثانوية من التعليم العام بمصر . وأهمية اختيار مادة الفلسفة بالذات فى هذه المرحلة من التعليم دون غيرها تكمن فى قدرتها على تقديم اجابات مقنعة لكثير من التساؤلات الفكرية التى تشغل أذهان الشباب حول قضايا جوهرية فى الحياة . واذا ما أحسن اختيار المنهج الفلسفى بما يتناسب مع المقدرة العقلية لهؤلاء الشباب فى هذه المرحلة الهامة من عمرهم ، فان هذا يسهم الى حد كبير فى بلورة توجههم الفكرى وتعميق المفاهيم والقيم التى يراد لهم أن تنتشر بها نفوسهم وعقولهم (٢٩) . وأما عن دور العلم والفكر العلمى فى هذا المجال فهو ضرورة تتطلبها روح العصر وظروف الواقع ومتطلبات النهضة الحضارية . ونظرا لما تتميز به الفلسفة من فكر نظرى وما تمتلكه من مفاهيم مجردة فانها تساعد - اذا ما أريد لها ذلك - على أن يأخذ التلاميذ بالمنهج العلمى وتتكون لديهم اتجاهات ايجابية نحو العلم والعلماء . وحتى اذا لم يواصلوا تعليمهم بعد ذلك ، أو أنستهم شواغل الحياة العلمية مادة الموضوع العلمى الذى درسوه ، يبقى لهم منهج النظر وأسلوب التفكير المنهجى الذى تتطلب استخدامه طبيعة العصر فى شتى مجالات الحياة . والتفكير العلمى ، فوق كل هذا مطلب اسلامى تتغياه التربية الاسلامية ، باعتباره الأساس فى تكوين العقلية الاسلامية وبناء شخصية الانسان المسلم ، حثت عليه آيات القرآن الكريم ودعت اليه الأحاديث النبوية الشريفة ، ومارسه المسلمون الأوائل فى كنف الايمان بالخالق الواحد ، فصنعوا به ومنه حضارة زاهرة تزهو على كل الحضارات .

واذا ما سلمنا باعتبار هذا الذى فصلناه سابقا يمكن ان يكون تصورا اسلاميا مقبولا لطبيعة الموقف النظرى الذى يجب مراعاته عند بناء المنهج المدرسى ، فان مشكلة هذه الجزئية من الدراسة تتحدد فى الاجابة عن السؤال التالى :-

مامدى اتفاق أو اختلاف منهج تدريس الفلسفة للثانوية العامة فى مصر بالنسبة للتصور الاسلامى الذى حددناه لطبيعة الموقف النظرى للمنهج المدرسى ؟

والاجابة على هذا السؤال لن نبدأها من فراغ ، فقد سبق أن تناولت احدى الدراسات التربوية (٣٠) موضوع تدريس الفلسفة فى مصر لطلاب الثانوية من خلال مناقشة ثلاثة نصوص فى الفلسفة على مدى ثلاثين عاما هى :

١- كتاب " دروس فى تاريخ الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية ، تأليف د. ابراهيم مدكور ، ويوسف كرم ، طبعة ١٩٥٣

٢- كتاب " الفلسفة " ، تأليف د. سعيد اسماعيل على ، للصف الثالث الثانوى ، القسم الأدبى ، القاهرة ١٩٧٠

٣- كتاب " مسائل فلسفية للصف الثالث الأدبى " تأليف د. زكى نجيب محمود وآخرين ، القاهرة ١٩٨١

ولقد تبين لنا من تلك الدراسة أن الباحث كان يهدف الى أن يقدم تحليلا داخليا لهذه النصوص الثلاثة منهجيا وأبستمولوجيا وأيديولوجيا من خلال القيام بدراستها دراسة مقارنة فيما بينها فى سياق الوضع السياسى والاجتماعى السائد فى كل مرحلة من تلك المراحل الثلاث ، ولكن ضيق المجال على حد زعمه - لم يسمح بدراسة تفصيلية لتلك العناصر فى النصوص الثلاثة ،أكتفى بتحديد بعض الملاحظات والمؤشرات العامة (٣١). ولهذا فإن طريقته لنقد النصوص الفلسفية اعتمدت على الجانب أو المدخل الأيديولوجى فى المقام الأول دون الأخذ فى الحسبان مختلف جوانب الموقف النظرى للمنهج المدرسى والمتمثلة فى كيفية معالجة المعرفة فى ميدان الفلسفة بشكل يخدم كلا من المتعلم والمجتمع معا (٣٢).

وقد انتهت الدراسة الى اعتبار ماجاء فى الكتاب الأول جنوحا الى الجانب الروحى وتشكيكا فى الجانب العلمى وتشويها للجانب المادى ، ووصل الأمر الى مستوى تغييب بعض الحقائق الفلسفية تدعيما لهذا الجنوح الروحى ، ووقف عرض تاريخ الفلسفة عرضا كلاسيكيا عند كانط ولم يتعداه .

وحصل الكتاب الثانى على بعض الثناء النسبى حيث أوضحت الدراسة اختياره لثلاث مشاكل ذات ذلالة هى : مشكلة الشك واليقين ، ومشكلة الحرية الانسانية ، ومشكلة العلاقة بين الفكر والواقع وكيف واجهها المثاليون والبرجماتيون والماديون . وأوضحت الدراسة أن الكتاب يغلب عليه البعد القومى ويستند فى حكمه على مختلف المشاكل الفلسفية الى ميثاق العمل الوطنى الذى صدر فى مصر عام ١٩٦٢.

أما الكتاب الثالث فقد وصفته الدراسة بأنه تميز بالتناول التعليمى المبسط الواضح لبعض المسائل الفلسفية ، والجمع بين منهجى الكتابين السابقين ، أى التاريخ وعرض المسائل الأساسية .

وأوضحت الدراسة أن الكتاب تجنب الدخول فى الاشكال النظرى ، وهو من مهام الفلسفة ، وتجاهل أثر ذلك على منهج التفكير عند الطلاب . كما أظهرت الدراسة تحيز الكتاب الى المذهب البرجماتى ووصفه بأنه " منهج مرن وليس محدودا ويصلح تطبيقه فى

الفلسفات المختلفة " (٣٣) ، واعتبرت هذا دعوة ضمنية الى التعميم الشامل للفلسفة البرجمانية . وفى تعليق للمؤلف الرئيسى لهذا الكتاب على تلك الآراء ذكر أنه أعد خطة الكتاب بسرعة البرق وأن الكتاب لم يحسن عرضه ، ووافق الأستاذ العالم على نقده ، لكنه اعترض على هجومه بسبب النظريات الاجتماعية التى يقول بها وقال : هذا هوس ، ووصفه بأنه متسلط عليه فكرة مسبقة ، واستعاذ بالله ممن تركبهم أفكار مسبقة (٣٤) .

وأيا ما كان الأمر ، فاننا نتفق مع ماجاء فى هذه الدراسة من وصف مشترك للنصوص الثلاثة ، يجمع بينها أنها جاءت فى أغلب الأحيان ذات طابع توفيقى ، أما بين الدين والفلسفة كما فى الكتاب الأول ، واما بين الدين والقومية وبقية المذاهب الفلسفية (باستثناء الفلسفة المثالية) كما فى الكتاب الثانى ، واما بين الاسلامية والعربية والبرجماتية التبشيرية كما فى الكتاب الثالث . وهذه السمة التوفيقية تلقى بظلالها على النصوص الثلاثة وتجعلها بعيدة ، بدرجات متفاوتة ، عن التصور الاسلامى للموقف النظرى الذى حددناه للمنهج المدرسى فى مادة الفلسفة ، وخاصة فيما يتعلق بتأصيل غاية التربية الاسلامية الأسمى والتركيز على منهج التفكير العلمى انطلاقا من المبادئ الاسلامية واحتكاما اليها وسموا بها .

٢- اسلامية الموقف النظرى للمنهج المدرسى فى العام ٨٨/٨٩

الكتاب الحالى بعنوان "الفلسفة ومشكلات الانسان للصف الثالث الثانوى (أدبى) (٣٥). يبدأ الكتاب بصورة الغلاف لوجه اليونانى " أفلاطون " بريشة فنان عصر النهضة رافائيل . ويعالج فى فصوله المختلفة أربع مشكلات أساسية ذات دلالة هامة فى المجتمع الحديث هى :

أولا : مشكلة التفكير وارتباطه بالانسان والمجتمع .

ثانيا : مشكلة الشك واليقين.

ثالثا : مشكلة الحرية الفردية.

رابعا : مشكلة الالزام الخلقى .

وانى اعترف منذ البداية أن الدخول فى مجال النقد عموما عملية صعبة ومعقدة لما تتضمنه من زوايا عديدة متشابكة ، لكنى سأقصر عرض وجهة نظرى على ما يتصل من الموضوع بمجال اهتمام بالفكر العلمى عموما ، والفكر العلمى الاسلامى على وجه الخصوص. واذا ما حاولنا مناقشة المحتوى المعرفى لهذا الكتاب من هذه الزاوية ، وفى ضوء الموقف النظرى الاسلامى للمنهج المدرسى على نحو ما فصلناه آنفا ، ونحدده الآن فى السؤال : مامدى اتفاق أو اختلاف منهج تدريس الفلسفة الحالى للثانوية العامة فى

مصر مع اسلامية الموقف النظرى للمنهج المدرسى ؟

فان الاجابة نوجزها فى النقاط الآتية :-

١- فى الباب الأول ركز الكتاب فى معالجته لمشكلة التفكير على التفكير الفلسفى فقط وارتباطه بالانسان والمجتمع ، ولم يفسح مكانا مناسبا لخصائص التفكير العلمى السليم باعتباره مطلبا اسلاميا فى المقام الأول ، ومنهجا ضروريا ملازما للانسان ، وخاصة فى عصر يشكل العلم فيه عاملا حاسما فى رسم صورة المجتمع . والقرآن الكريم يحث فى كثير من آياته على جعل الايمان لحمة فى نسيج محكم سداه علوم الكون والحياة (٣٦) . وأبسط قواعد التعليم تقضى بأن يتعرف الطلاب على الفروق المميزة بين سمات المعرفة العلمية والتقنية وخصائص التفكير الفلسفى ، مع الوقوف على حدود وجدوى كل منها وفهم جوهر المفاهيم الأساسية وتطورها مع النمو المعرفى .

وعندما ضرب المثل بظاهرة " البرق والرعد " كمثال توضيحى لتنوع واختلاف أساليب التفكير لم يراع النواحى المميزة لمنهجية التفكير العلمى فى تفسير الظاهرة ، كما أن التعليل العلمى للظاهرة جاء موجزا وصيغ بأسلوب غير دقيق ، ولم تتضمن قائمة المراجع لهذا الباب أي كتاب علمى يرجع اليه الطالب . بل ان الطالب يعرف من قراءته العامة أو من زميله فى القسم العلمى أن النشاط الكهربى داخل السحب ينشأ عنه حدوث تفريغات كهربية بين جزئين من السحاب الواحد ، أو بين السحاب والأرض أو بين سحابين مختلفين ، تظهر على صورة شرارات هائلة ، تعرف بالبرق وتستنفذ فى ذلك كميات ضخمة من الطاقة الكهربية ، تؤدى الى كثير من التدمير والتخريب اذا كان التفريغ بين السحاب والأرض . أما كل ما أورده الكتاب لتفسير هذه الظاهرة فهو جملة غير مفيدة علميا وخلع عليها صفة القانون العلمى الذى يعزى الظاهرة الى التقاء " الموجات الكهربائية بعضها مع البعض الآخر فى الجو " (٣٧) .

وفى رأيى أن هذا الباب كان فرصة مناسبة للافاضة فى خصائص الأسلوب الدينى والعلمى ، وتعويد الطالب على اكتشاف خصائص كل منها ، طبعا بالاضافة الى الأسلوب الفلسفى ، كما أن موضوعات هذا الباب أقرب موضوعات الفلسفة الى مستوى تفكير الطالب فى هذه المرحلة من عمره ، والتركيز على تأكيد وتأصيل المفاهيم الفكرية الأساسية يفيد كثيرا فى تشكيل العقلية العلمية لدى الطلاب.

من ناحية أخرى ، قطعت العلوم المعاصرة ، وبخاصة علم الفيزياء وعلم الفلك والميكانيكا السماوية وأبحاث الفضاء والكومبيوتر ، شوطا كبيرا فى البحث فى قضايا معنوية كانت من قبل حكرا على ميدان الفلسفة ، مثل البحث فى أصل الكون وأصل الحياة وغيرهما ، وأصبح ما يسمى بالميتافيزيقا الفيزيائية وصفا ينطبق على الأبعاد الخفية وأصغر الجسيمات الأولية داخل النواة كما ينطبق على أبعد المجرات التى تسبح

في فضاء الكون السحيق. وأوحى هذا التحليل الجديد لمادة الكون بأن الفاصل بين ماهو "مادى" وماهو "لامادى" أوشك أن يزول ، فالمادة والطاقة مثلا بصورها المختلفة وجهان لعملة واحدة. ومن هنا فان مايخلص اليه الكتاب من" أن موضوع الفلسفة كلى معنوى مجرد ، بينما موضوع العلم جزئى حسى مادى"(٣٨) قد يكون مناسبا فى مراحل معينة من تطورالفكرى العلمى والفلسفى ، لكنه لا يتفق مع فلسفة العلوم المعاصرة .

من ناحية ثالثة ، أورد الكتاب فى تعليقه على صورة لفيثاغورث فى صفحة ١٦ أنه صاحب النظرية الهندسية التى تنتسب حتى الآن الى اسمه ، وربما كان مفيدا أن يعرف الطالب مضمون هذه النظرية الأساسية وتطبيقاتها .ولنا أن نقدر الأثر التربوى على عقلية الطالب اذا علمنا أن أساس هذه النظرية يعود الى قدماء المصريين الذين توصلوا الى معادلة على الصورة : س٢ + ص٢ = ١٠٠ ، ص = ٤/٣ س حيث س = ٨ ، ص = ٦ . وتتصل هذه المعادلة اتصالا مباشرا بالحل الهندسى للعلاقة الأبسط بين الأعداد ٣، ٤ ، ٥ فى مثلث قائم الزاوية حيث صاغ منها فيثاغورث النظرية المشار اليها فى حساب المثلثات والتى تنص على أن المربع المنشأ على الوتر فى المثلث القائم الزاوية يساوى مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين . ويزداد الأثر التربوى الايجابى على عقلية الطالب اذا علم أن علماء الحضارة الاسلامية ، وخاصة ثابت بن قرة ، استطاعوا تعميم نظرية فيثاغورث لأى مثلث ، وهى الحالة التى يدرسها الطلاب حاليا فى تعليمهم العام وربما لا يعرفون عن تاريخها الا أنها تنسب فقط لفيثاغورث . ونفس الشئ يمكن أن يقال عن تأصيل نظرية الجاذبية المنسوبة الى نيوتن فى صفحة٣٠، وتصحيح تاريخها بابراز دور علماء الحضارة الاسلامية من أمثال الخازن وابن الهيثم والبيرونى والهمدانى وغيرهم فى كشف مفهوم الجاذبية الأرضية .

٢- تغلب على الكتاب فى مواضع كثيرة - شأنه شأن الكتب السابقة عليه - السمة التوفيقية التى تطمس معالم الرؤية الواضحة للتصور الاسلامى السليم وميزته على كل التصورات الدينية والفلسفية الأخرى . فقد ظهرت هذه التوفيقية مثلا عند الحديث عن الأسلوب الدينى عامة فى ص ١٢ و ص ٣٤، دون النظر الى نوعية الدين . واقتصر تعريف الأسلوب الدينى على أنه يربط الظواهر الطبيعية بتفوق قدرة الله مقارنة بعجز الانسان فى صنع مثيلها ، وما يستتبع ذلك من محاولة فهم هذه الظواهر التى تؤدى الى ازدياد ايمان الانسان بالله وبقدرته وعظمته تعالى. وفى هذا التعميم اجحاف بالاسلام الذى أنزله الخالق الواحد ليقود حركة الكون والحياة الى قيام الساعة ، والذى جاء بالمنهج الالهى الشامل الذى يجب كل منهج آخر مصداقا لقوله تعالى :" وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (سورة الأنعام : ١٥٣).

كذلك ظهرت سمة التوفيقية بين الاسلامية والقومية أو العربية فى مواضع كثيرة من الكتاب فقد جاء فى صفحتى ٧، ٨ من المقدمة :" ودعما للانتماء الفكرى القومى عند الطلبة ومنعا لاتجاهم نحو اعتناق أى فكر أجنبى أثناء أو بعد دراستهم للمذاهب الفلسفية المقررة فى المنهج والكتاب ، اتبعنا منهجا واضحا ومحددا فى هذا الشأن ، نرجوا أن يركز عليه المعلمون بدقة أثناء التدريس ، ويتمثل فى اتخاذنا النظرة النقدية للتعقيب بها على المذاهب الفلسفية ، بدلا من الاكتفاء بعرض تلك المذاهب بطريقة موضوعية دون نقد أو تعليق " (وفى الصفحات من ٥٢ الى ٥٦ حددت سمات النظرة النقدية العربية فى :-

(أ) النظر الى المذاهب الفلسفية فى ارتباطها بنشأتها .

(ب) رفض الحلول الغربية والمذاهب الأجنبية للمشكلات الفلسفية لأنها ثمار لتربة اجتماعية أجنبية ، والبحث عن حلول عربية للمشكلات الفلسفية .(٣٩)

(جـ) التوسط والاعتدال كأساس عام للموقف الفلسفى العربى

وتستخدم هذه الطريقة النقدية فى عرض المشكلات الفلسفية والتعقيب عليها من وجهة النظر العربية ، فنجد الشك المنهجى فى الحضارة الاسلامية (ص ٩٦) ، وموقف مجتمعنا العربى من مشكلة الحرية (ص ص ٢١٤ – ٢١٦) ، وتكامل الالزام الخلقى من وجهة النظر العربية (ص ٢٦٠).

والتساؤل الذى نطرحه الآن هو : هل توجد فعلا لدينا فلسفة عربية ؟

والاجابة نستقيها من حوار دار بين أحد المستشرقين وفيلسوف عربى معاصر أورده فى كتابه الذى اختير ضمن المراجع العربية المختارة تحت رقم ١١ ص ٦٢ (عبد الغفار مكاوى ، لم الفلسفة ؟ ، منشاة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ١١١) . جاء فى هذا الحوار : " سألنى يوما أحد المستشرقين : هل عندكم مذاهب فلسفية ؟ قلت بصراحة أخافتنى : لن تجد مذهبا مغلقا ولامفتوحا ، ربما عثرت على اجتهادات طيبة لدى رواد النهضة الحديثة وعند معظم المشتغلين بالتفكير والتعليم الفلسفى فى بلادنا العربية ، ولكنها لاتزال تقف على أرض تهتز بين تمثل تراثنا وعرض التراث المعاصر . قال : ولماذا تخشى الاهتزاز ؟ أليست هذه هى حال كل الشعوب والحضارات ؟قلت ضاحكا : صدقت ، ولكنها عندنا تصيب بالدوار وتهدد بالزلازل.سأل وهو يقطب وجهه : فأين أجد بذور الفلسفة العربية ؟ قلت : ربما تلمس بنورها الكامنة فى ضمير الشعب : فى عاداته وتقاليده ، وأمثاله وحكاياته ، ومواويله وبكائياته ، وربما تلمح خطوطها البعيدة أو خيوطها الرقيقة عند الشعراء والكتاب . ولكنها ستحتاج الى النساج الذى ننتظره . قد يأتى أو لا يأتى .هذا شى لا نعلمه ، ولكن الذى يجب أن نعمل من أجله هو تهيئة النول الصالح واعداد خيوط الغزل من القطن والصوف والحرير " . ترى لو رجع الطالب الى هذا المرجع المشار اليه فى كتابه المقرر واطلع على هذا الحوار، هل سيظل مقتنعا

بوجود فلسفة عربية ؟ أما عن أوجه التناقض بين السمتين الثانية والثالثة والخلط بين وسطية الاسلام ورفض الواقع المعاصر فحدث ولا حرج !

واذا كان لنا من تعليق على هذه الصفة التوفيقية التى تتسم بها مناهج الفلسفة عموما فاننا نرى أنها انعكاس لحالة الحيرة والقلق التى تسود ساحة الفكر العربى بين الأصالة والمعاصرة ، والبعد عن منهج الاسلام المتكامل والمؤهل لأن يكون موضع تأمل عميق فى عقلية انسان العصر.ان قوة الفكر الاسلامى الحقيقية لا تتوافر الا من خلال وضوحه واتساقه واعلاء قيمته وتحديد غايته . وفى اعتقادى أن الدعوة الى فلسفة قومية تصبح بلا معنى اذا كانت هناك نظرية اسلامية متكاملة فى التفكير والحرية والأخلاق والمعرفة وغيرها من مشكلات الانسان.

٣- يحتوى الكتاب بين ثناياه على بعض المفاهيم التى توحى للطالب بتصورات غير اسلامية : مثال ذلك ما يبدأ به تقرير ما يقال من أن الانسان حيوان ناطق أو مفكر (ص ١١) . وكثيرا مايحلو للفلاسفة أن يطلقوا صفات على الانسان الحيوان تتغير بتغير العصور ، كالانسان حيوان له تاريخ أو ذاكرة ، الانسان حيوان تكنولوجى ، والانسان حيوان اجتماعى وغيرها . والتصور الاسلامى يقضى بأن الانسان خلقه الله انسانا وكرمه على سائر المخلوقات بالعلم ، وينسحب لفظ الحيوان فى حقيقة الأمر على كل شئ حى ، فكل ذى روح حيوان . ولكن اقران صفة الحيوانية بالانسان قد توحى لدى الطالب ببعض المعانى التى لوثت ثقافتنا الاسلامية عندما شاعت نظرية التطور لداروين .

كما أن تغيب بعض المشاكل الفلسفية العميقة عن آراء الفلاسفة فى العلم الالهى والخلق من العدم والخلود وغيرها قد لايناسب تفكير طلاب يدرسون الفلسفة لأول مرة . والأفضل هو ترسيخ المفاهيم الاسلامية الواضحة المستمدة من القرآن والسنة فى نفوسهم وعقولهم ، والبعد عن كل مايثير الشك لديهم فى أمر العقيدة والايمان بالله . وقد كان الامام الغزالى يرى أن بعض الحقائق الكبرى من النوع الكلامى أو الصوفى لايمكن كشفها لجماهير العامة دون أن ينشأ عن ذلك ضر وفساد ، وانما ينبغى أن يعطى كل فرد عن حقائق الدينبقدر مايحتمل عقله .

٤- الكتاب فى مجمله جهد علمى كبير ، لكن حجمه الذى يقع فى ٢٨٧ صفحة قد يمثل بعض العبء على القدرة الاستيعابية للطلاب ، وخاصة بعد مالوحظ من مقدمة الكتاب أن تأليفه قد روعى فيه أن تكون المعلومات والمادة العلمية الواردة فيه هدفا مطلوبا لذاته ، ومن الخطأ التركيز أثنا التدريس على حفظ المعلومات المتضمنة فى الكتاب . وهذا من شأنه أن يحدث بعض الخلل فى التوازن المطلوب بين عناصر الموقف النظرى للمنهج المدرسى ، كما أنه يتيح المجال للاختلاف بين مدرس الفلسفة حول مايحفظ وما يقرأ وما يترك من أجزاء المقرر ، وبالتالى فانه يؤدى الى اختلاف فى القدر المشترك من

التحصيل المعرفى Common Learning الذى يسأل فيه الطلاب فى امتحان آخر العام.

خاتمة

تقتضى أمانة البحث العلمى أن نشير الى وجه القصور فى دراستنا الحالية من حيث أنها تتناول موضوعا كبيرا يتعلق بتجربة التدريس الفلسفى فى العالم العربى من خلال جزئية صغيرة تتعلق بنصيب الفكر العلمى من المنهج المدرسى فى مصر . وليس هناك من شك فى أن النتائج التى توصلنا اليها من تحليل هذه الجزئية الصغيرة لا يمكن أن نخلع عليها صفة التعميم الا اذا امتدت الدراسة واتسعت بشكل منهجى احصائى يشمل كل عناصر الموضوع منذ بداية تدريس الفلسفة فى مدارس وجامعات العالم العربى . عندئذ سوف يساعد التقييم الشامل لتجربة التدريس الفلسفى فى ضوء التصور الاسلامى الواضح للمنهج المدرسى على اقتراح أفضل المناهج الممكنة فى هذا الصدد.

على أن الطريقة النقدية التى اتبعناها فى طرح الموضوع ومناقشته يرجى لها أن تسهم فى جذب انتباه أكبر عدد ممكن من الباحثين لتناوله بمداخل متنوعة فى اطار تنظير اسلامى رشيد يؤمن بدور العلم والتعليم ، من حيث البنية والمنهج ، فى تحقيق غايات التربية الاسلامية السليمة . ولسوف ينتج - بمشيئة الله - من التلاقح المستمر بين نتاج الباحثين وخبراتهم أن يتبلور الفكر العلمى السليم واضحا نقيا يثرى نهضتنا الاسلامية المنشودة.

المراجع والهوامش

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١، ص ٤٩ -٥٢

صفوة التفاسير ، ج ١، ص ٣٤ ، ط ١ (١٩٨١).

٢-د. عبد المجيد عبد الرحيم ، مدخل الى الفلسفة بنظرة اجتماعية ، القاهرة ، ١٩٧٦

د. يحيى هويدى ، مقدمه فى الفلسفة العامة ، القاهرة ، ١٩٧٤

د.أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٤

٣- لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى :-

- سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، القاهرة .. ١٩٨٧

-د. عبد الحليم محمود ، الاسلام والعقل ، دار المعارف ، ١٩٨٥

-د.عبد المقصود عبد الغنى ، قضية الدين بين أنصاره وخصومه ، دراسة منشورة بحوليات كلية دار العلوم ، ص ص ١٥٧ -١٩٤ ، العدد العاشر ١٩٨٣

(٤) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧

د. يوسف القرضاوى ، الخصائص العامة للاسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥

د. على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، الجزء الأول ، دار المعارف ، ١٩٨١

د. عبد الغنى عبود ، الحضارة الاسلامية والحضارة المعاصرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١

(٥) أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، رسائل فلسفية ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢

(٦) ابن القفطى ، أخبار الحكماء ، ص ٢٤١ ، دار الآثار ، بيروت.

(٧) د. جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٢

د. احمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٨٣.

(٨) د. ابراهيم مدكور ، فى الفلسفة الاسلامية ، الجزء الثانى ، دار المعارف ، ١٩٨٣

(٩) د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٤

د. عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ، ١٩٨٠

(١٠) د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم الطبيعية فى التراث الاسلامى . دراسة تحليلية مقارنة فى المنهج العلمى ، مجلة المسلم المعاصر ، عدد ٤٩ ، ١٩٨٧

وايضا ، دراستنا " نحو صياغة اسلامية لنظرية العلم والتقنية " ، لم تنشر بعد .

د. على سامى النشار ، المرجع السابق ، ص ٥٣ -٤٥ .

عبد الحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دار المعارف ، ١٩٨٤

سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة فى الاسلام ، الزهراء للاعلام العربى ، ١٩٨٦

(١١) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، ص ٤٠ -٤٢

(١٢) د. أحمد فؤاد باشا ، خصائص المنهج العلمى فى التراث الاسلامى ، مجلة الأزهر ، صفر ١٤٠٩ هـ سبتمبر ١٩٨٨م

(١٣) عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة اسلامية.

(١٤) لايتسع المجال هنا لتفنيد أوجه الخلاف بين المفكرين والمؤرخين ، اسلاميين وغير اسلاميين ، حول تعريف العرب والحضارة العربية والفلسفة العربية وتعريف المسلمين والحضارة الاسلامية والفلسفة الاسلامية ، وكذا خلافهم حول حقيقة الدور الذى أسهمت به حضارة الاسلام فى تاريخ البشرية ولجوء البعض منهم الى اعتبارات عنصرية أو خصومة دينية أو مذهبية قدر لها أن تجد سبيلها الى ميدان العلم كما وجدته الى ميدان السياسة ، وأن تمتد بعض آثارها الى عصرنا الحالى . انظر فى ذلك على سبيل المثال : هـ .موسى ، ميلاد العصور الوسطى ، الترجمة العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٧

وأيضا المراجع السابقة : سيد قطب ، د. ابراهيم مدكور ، د . على سامى النشار ، د. عبد الحليم منتصر ، د. أحمد فؤاد باشا ، سليمان الخطيب ، د. عبد الغنى عبود . يمكن الرجوع كذلك الى : د. محمد اليهي ، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، وأيضا :

- د. محسن عبد الحميد ، أزمة المثقفين تجاه الاسلام فى العصر الحديث ، دار الصحوة ، ١٩٨٤

- د. عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفى فى الاسلام ، دار المعارف ، ١٩٨٤

(١٥) د. جون ديكنسون ، العلم والمشتغلون بالبحث العلمى فى المجتمع الحديث ، عالم المعرفة ، (١١٢) الكويت ١٩٨٧

د. معن زيادة ، معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، عالم المعرفة (١١٥) ، الكويت ، ١٩٨٧

(١٦) مصطفى طيبة ، الثورة العلمية والتكنولوجية والعالم العربى ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ١٩٨٣

د. أحمد فؤاد باشا ، نحو صياغة اسلامية لنظرية العلم والتقنية ، المسلم المعاصر ع ٥٥ مارس ، ١٩٨٩

(١٧) د. أحمد فؤاد باشا ، الانسان وأبحاث الفضاء الكونى ، مجلة الأزهر ، ديسمبر ، ١٩٨٨

(١٨) هنترميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، القاهرة ، ١٩٧٥

د. يحيى هويدى ، المرجع السابق .

د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة اسلامية . انظر أيضا دراستنا حول " الاسلام وفلسفة العلم المعاصر " فى كتاب : الثقافة الاسلامية " (بالاشتراك) ، منشورات جامعة صنعاء ، ١٩٨٦

يمكن كذلك الوقوف على وجهة نظر تفسيرية لأهمية العلوم الطبيعية فى الفكر الفلسفى والأيديولوجى عامة فى : محمد عابد الجابرى ، نقد العقل العربى ، تكوين العقل العربى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٤

(١٩) مصطلح : التعليم العام " هو الترجمة العربية لمصطلح General Education al

ويعنى ذلك التعليم المقصود الذى يراد به تزويد مجموعة معينة من الطلاب بمنهج محورى عام ، يتألف من مجموعة من المعارف والمهارات والقيم ، وتكون له مقتضيات فى كل مراحل التعليم : الابتدائي والثانوى والعالى أو الجامعى ، ويكون هدفه الأسمى تأكيد الهوية الثقافية وتجديدها . لمزيد من التفاصيل راجع :

- د. أحمد المهدى عبد الحليم ، نحو اتجاهات حديثة فى سياسة التعليم العام وبرامجه ومناهجه عالم الفكر ، المجلد التاسع عشر ، العدد الثانى ، ص ١٧ - ٤٦ ، الكويت ١٩٨٨

(٢٠) د. يوسف عبد المعطى ، أمة معرضة للخطر ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٤، د. محمد أحمد الرشيد ، التربية ومستقبل الأمة العربية ، عالم الفكر ، المجلد التاسع عشر العدد الثانى ، الكويت ١٩٨٨

(٢١) عن د. أحمد المهدى عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص ١٨ ،١٩

* كان اطلاق الاتحاد السوفيتى للقمر الصناعى (سبوتنيك) فى عام ١٩٥٧ ايذانا ببدء عهد جديد فى أبحاث الفضاء الكونى ، ويمثل تحديا علميا للولايات المتحدة الامريكية التى واجهته بانشاء وكالة الفضاء الأمريكية وتحديد هدف لها يتمثل فى انزال انسان على سطح القمر بنهاية الستينات ، وقد تحقق ذلك فعلا فى رحلة أبوللو ١١ عام ١٩٦٩.

(٢٢) - مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلاد العربية ، التربية الجديدة ، العدان ٤٠ ،٤١ السنة الرابعة عشرة ، ١٩٨٧

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، ١٩٧٩

(٢٣) كومز ، فيليب ، ترجمة حربى ، محمد خيرى وآخرين ، أزمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينات ، الرياض : دار المريخ ١٩٨٧ . عن د. أحمد المهدى عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص ٢٠

(٢٤)(انظر على سبيل المثال :

- د. سعيد اسماعيل على ، أصول التربية الاسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨

- د. محمد منير مرسى ، أصول التربية الثقافية والفلسفية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩

- على خليل أبو العنين ، فلسفة التربية الاسلامية فى القرآن الكريم ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٠

- د. حمدى أبو الفتوح عطيفه ، تصور مقترح لأسلمة خطط دراسة العلوم المدرسية فى العالم العربي والاسلامى ، دراسة منشورة ، الاسكندرية ١٩٨٢

- د. سيد أحمد عثمان ، المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة ، دراسة نفسية تربوية ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ١٩٧٩

(٢٥) لمزيد من التفصيل حول المعانى الربانية وأثرها فى بلوغ غايات التربية الاسلامية يمكن الرجوع الى :

– د٠ يوسف القرضاوى ، الخصائص العامة للاسلام ، موسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥

– سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧

(٢٦) د٠ عبد الحليم محمود ، الاسلام والعقل ، ص ٢٠٩ ، ط ٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٥

د٠ أحمد فؤاد باشا ، نحو صياغة اسلامية لنظرية العلم والتقنية ٠ دراسة تحت النشر ٠

(٢٧) د٠زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامى المعاصر، كتاب الأمة ، ١٩٨٨ ٠

(٢٨) راجع سلسلة اسلامية المعرفة التى يصدرها المعهد العالمى للفكر الاسلامى المبادئ العامة – خطة العمل – الانجازات ، ١٩٨٦ ٠

كذلك شهدت ساحة الفكر الاسلامى خلال العقدين الأخيرين تزايدا ملحوظا فى الاسهامات الداعية الى اسلامية المعرفة ، وان كان نصيب العلم منها لايزال مفتقدا ، اللهم من بعض الاجتهادات الفردية المتناثرة التى تهتم بالتأريخ لتراث المسلمين العلمى والتأصيل لمنهجية الفكر العلمى الاسلامى ، مثل :

– قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠

– عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، ١٩٧٧

– عبد الحليم منتصر ، تاريخ ودور العلماء العرب فى تقدمه ، القاهرة ، ١٩٨٠

– أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٨٣ وأيضا ، فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٤

– عبد الحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دارالمعارف ، ١٩٨٤

–مصطفى حلمى ، مناهج البحث فى العلوم الاسلامية ، مكتبة الزهراء ، ١٩٨٤

(٢٩) فى المرحلة الثانوية يمكن القول بأن الطلاب يقفون من حيث السن على نهاية مرحلة المراهقة ، والتعرف على التجارب والدراسات والنظريات فى مجال النمو المعرفى يفيد كثيرا فى تفهم خصائص التفكير المنطقى وطبيعة التراكيب العقلية المميزة لهذه المرحلة من مراحل النمو العقلى ، ومن ثم يساعد على اختيار المضمون المعرفى المناسب فى المناهج الدراسية المختلفة ٠

انظر على سبيل المثال : د٠ ليلى كرم الدين ، خصائص التفكير المنطقى فى نظرية جان بياجيه ، مجلة علم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص ٢٨ –٤٦ ، العدد الثامن ، ١٩٨٨ ٠

(٣٠) محمود أمين العالم ، ثلاثة نصوص وثلاثة مواقف فى منهج تدريس الفلسفة للثانوية العامة فى مصر ، دراسات تربوية ، الجزء الأول ، نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ص ٣٩ –٧٤

(٣١) المرجع نفسه ، ص ٤٢

(٣٢) انظر : د. عبد الله محمد ابراهيم ، دراسة ناقدة لدراسة العالم عن منهج تدريس الفلسفة للثانوية العامة في مصر في ضوء الموقف النظرى للمنهج المدرسى ، دراسات تربوية ، الجزء الثالث ، يونيو ١٩٨٦ .

وفيما يرى الباحث ضرورة أن تقوم ثقافتنا الاسلامية على التوفيق بين معالم المنهج الرئيسية الممثلة فى المعرفة والمجتمع والمتعلم ، لكنه تبنى وجهة نظر تبريرية للدفاع عن النصوص الثلاثة ضد الدراسة موضوع النقد والتي استفزته كقارئ – على حد تعبيره ص ٢٧٤ . كما أنه اقتصر على بعض النصوص الواردة فى الدراسة محل النقد .

(٣٣) محمود أمين العالم ، المرجع السابق ، ص ٦٣

(٣٤) د. زكى نجيب محمود ، تجربتى التربوية ، دراسات تربوية ، الجزء الثالث يونيو ١٩٨٦ ، ص ص ٢١٤ – ٢١٥

(٣٥) كتاب " الفلسفة ومشكلات الانسان للصف الثالث الثانوى (أبى) ، تأليف : سماح رافع محمد ومحمد مصطفى البسيونى ، مراجعة د. محمد أبو الوفا التفتازانى ، طبعة ٨٨ / ٨٩

(٣٦) انظر : سورة آ عمران : ١٩٠ – ١٩٢

(٣٧) كتاب " الفلسفة ومشكلات الانسان للصف الثالث الثانوى (أدبى) ، طبعة ٨٨/ ٨٩ ، ص ١٣تم معالجة هذه الجزئية بشئ من التفصيل فى باب العلوم الكونية ، مجلة الأزهر ، عددا رجب وشعبان ١٤٠٩ هـ

(٣٨) نفس المرجع ، ص ٢٨ ، ص ٣٤

(٣٩) هذه السمة تتعارض مع القول المشهور لغاندى فى تصدير الكتاب وفى كتاب لأحد المؤلفين . انظر سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الثانية ١٩٨٥